كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

أ ـ كتب الغريب قبل كتاب الدلائل :

١

لما حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة حجة الوداع ، وخطب الناس خطبته الشهيرة الجامعة التي بين لهم فيها ما بيّن ، كان مما قاله في خطبته : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » (١) .

وخرج العرب المؤمنون من جزيرتهم يداً واحدة ، يبشرون بالهدى ودين الحق ، فدانت لهم الأرض ما بين بحر الظلمات إلى أسوار الصين ، غدت بهم نقية كالزلفة (٢) ، تنبت ثمراتها وتمنح خيراتها ، تظلها رايات العدل ، ويسودها الإخاء والتقوى ؛ واستمسك أصحاب رسول الله بدعامتي الإسلام : القرآن والسنة أيما استمساك ، وكانوا الأقوياء الأمناء عليها ، مضوا يتدارسون ما فيها ليتفقهوا في الدين وليعلموا قومهم ، فهم أبداً يعلّمون ويتعلمون ، صباحهم ومساءهم لا يفترون ، شعارهم : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ سورة الزمر : ٩) ، يحفزهم

---

(١) المستدرك للحاكم (كتاب العلم) ١ : ٩٣ ، فيض القدير ٣ : ٢٤٠ـ ٢٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٩

(٢) الزلفة : بفتح الزاي واللام ، المرآة ، شبهت الأرض بها لصفائها ونظافتها ، وقيل : هي الروضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإيمان ، وتملأ صدورهم الحمية ، وليس أقوى منها ، وتلقى الخلف الثروة عن السلف ، وتثمر الأبناء ما غرس الآباء ، فتفتحت من الكتاب والسنة حدائق ذات بهجة ، باسقات الأشجار ، ظلها دائم ، وقطوفها دانية ، لست في صدد عرضها وتعدادها ، فقد كفى ذلك المؤلفون المتقدمون ، ومن أراد اللمحة الدالة فله العود إلى « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، « وكل علم فمن القرآن »[1] ، وإلى مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، « والسنة تفسر القرآن وتبينه »[2] ، وإنما يعنيني في كلمتي هذه أن أقف عند علم واحد من تلك العلوم الجمة التي نجمت عن مدارسة الحديث ، وتفهم معانيه ومقاصده ، لا أعدوه إلى سواه ، ألا وهو علم « غريب الحديث » .

٢

نشأ علم « غريب الحديث » نشأته الأولى على أيدي العلماء من أئمة اللغة ، ليُعنى بشرح الكلمات الغامضة الغريبة في حديث رسول الله ، وتفسير ما خفي من معانيه وأساليبه من المشكل الذي لا يفطن إليه إلا بعد الكد والمطاولة . كان علماء اللغة هم فرسان هذا الميدان الذين جروا في مضماره : جرؤوا عليه ، وتفردوا به ، فعرضوا للغريب الغامض في حديث رسول الله من الألفاظ والأساليب ففسروه ، وجلوا معناه ، وكشفوا عن مراميه ، وأيدوا ما ذهبوا إليه من تفسير وشرح بالشواهد من شعر العرب .

ويذكر لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » أوائل من ألّف

---

(١) التيسير في علوم التفسير للديربني : ٢

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٤١ ، ٢٥٢ ، الاختلاف في اللفظ : ٣٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في غريب الحديث ، فعدّ منهم أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) وأبا الحسن النضر بن شميل المازني (٢٠٤ هـ) وأبا علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب (٢٠٦ هـ) واسم كتابه : « غريب الآثار » وأبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣ هـ) وأبا عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢١٣ هـ) « وممن روى كتابه في غريب الحديث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عمرو الشيباني » ، وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) وأبا عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي الراوية ، وأبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١ هـ) [١] .

وذكر الخطيب البغدادي من بينهم أيضاً أبا الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط (٢١١ هـ) [٢] ، ونستطيع أن نتلمس صنيع هؤلاء الأئمة في كلمة أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (٣٤٧ هـ) التي رواها الخطيب البغدادي ، وهو يتحدث عن غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه

---

(١) الفهرست : ٧٤، ٨٣ - ٨٥ ، ٨٧ - ٨٨ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٣٥ (ط.مصر) نور القبس : ٢١٧ - ٢١٨ ، مراتب النحويين : ٩١ ، وظل كتاب شرح (غريب الحديث) لأبي عبيدة متداولاً دهراً طويلاً . فكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) ، حدثه به الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، انظر فهرست ابن خير : ١٨٥ - ١٨٦ . وروى الأزهري في تهذيبه بسنده ، من غريب الحديث للنضر بن شميل (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٣ - ٥٤)

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير »[١] ، كذلك فإن صاحب « الفهرست » قال في صنيع أبي عدنان : « وله كتاب غريب الحديث ، وترجمته : ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً ، وعلى أثره ما فسره العلماء من السلف »[٢] .

ويتحدث ابن الأثير « أبو السعادات المبارك مجد الدين - ٦٠٦ هـ » عن هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، ويصف الطريقة التي انتهجها أئمة اللغة في التأليف فيقول : « فقيل : إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومخترع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر .

والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم .

ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط ، على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي ، وكان في عصر

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

(٢) الفهرست : ٧٤ ، انباه الرواة ٤ : ١٤٢ . وترجمة الكتاب : عنوانه ، قال ابن قتيبة في مقدمة إصلاح الغلط : ٣ « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته » ، وسئل الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله تعالى ؟! فقال : هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به (البلغة للفيروز ابادي : ١٥٩ — ١٦٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبي عبيدة وتأخر عنه ، كتاباً أحسن فيه الصنع وأجـــاد ، ونيّف على كتابه وزاد [١] ، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه ، جمعوا أحاديث تـكلموا على لغتها ومعناها ، في أوراق ذوات عـــدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر » [٢] .

— لقد استأثر اللغويون بالمرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، وكانت طريقتهم أن يأتوا بالحديث مجرداً عن سنده ، ليتفرغوا لتفسير الغريب من كلماته ، والغامض المشكل من أساليبه ، لم يشذ منهم أحد عن ذلك ، غير أبي عدنان الذي خرج على إجماعهم ، فساق في كتابه الأحاديث بأسانيدها ، وصنفها على أبواب السنن والفقه ، ثم كانت تآليفهم ، في الأعم الأغلب ، صغيرة ، موجزة ، لا تتوخى الإحاطة والشمول .

— ويذكر المؤلفون أن أبا بكر الحسين بن عياش السلمي الباجدائي الرقي الجزري (٢٠٤ هـ) قد ألّف مصنفاً في غريب الحديث ، وكان الحسين أديباً ، فاضلاً ، فصيحاً ، ولكننا لا نستطيع أن ندرج اسمه بين أئمة اللغة ، وليس بين أيدينا وصف لكتابه الذي وضعه ، ورواه عنه أبو عمر هلال بن العلاء

---

(١) يقول ابن النديم في الفهرست : ٨٨ — ٨٩ ، وهو يعدد كتب الأصمعي : « وله كتاب غريب الحديث ، نحو مائتي ورقة ، رأيته بخط السكري » . ثم يذكر له مرة أخرى في الموضع نفسه : « كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي » . أما الإمام الخطابي ، فقد ذكر ، وهو يعدّد كتب غريب الحديث ، كتاب الأصمعي وقال : « يقع في ورقات معدودة » ، انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ويذكر ذاكرون أن الأصمعي لم يكن يجيب في القرآن وحديث النبي تحرجاً وورعاً (مراتب النحويين ٤١ ، ٤٨-٤٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ط . الخيرية) ١ : ٤ — ٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الباهلي الرقي (١٨٤ – ٢٨٠ هـ) ثم رواه عن هلال أبو القاسم الحسين بن عبد الله بن مناذر الواسطي (١) .

٣

وإذا كانت الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الهجري لتختم في مطالع القرن الثالث ، فإنه يحق لنا أن نضم إليها كتباً ألفها أصحابها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهي بذلك تتداخل من الناحية الزمنية بكتب المرحلة الثانية ، ولكنها ، من حيث طريقة تأليفها ، أشبه بكتب المرحلة الأولى ، بل هي امتداد وتتمة لها .

وأبرز من نعدهم في هذا الصدد من مؤلفي هذا النمط من كتب الغريب :

عمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ هـ) وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم (٢٣٠ هـ) وصاحبا الفراء : أبو جعفر محمد بن قادم ، وأبو محمد سلمة بن عاصم الكوفي ، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبو معاذ النحوي اللغوي صاحب القراءات ، وأبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥ هـ) وكتابه في غريب الحديث كبير جداً (٢) .

---

(١) الفهرست : ٩٦ (ط . إيران) ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٣ ، ١١ : ٨٣ – ٨٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ولعل في المطبوع من تاريخ بغداد سقطاً ، إذ لم يرد فيه ترجمة الحسين بن عياش السلمي. وذكر صاحب تاريخ الموصل : ٣٥٥ ، في أحداث سنة ٢٠٤ هـ ، موت الحسن ابن العباس الخزرجي وقال فيه : « وهو مولى لبني سليم ، وكان فصيحاً ، وله كتاب في غريب الحديث » . ويبدو لي أن الاسم والنسبة محرفان عن الحسين بن عياش الجزري.

(٢) الفهرست : ٨٩ – ٩٠ ، ١٠٦ – ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، بغية الوعاة : ٢٦٦ – ٢٦٧ ، انباه الرواة ٤ : ١٧٩ ، غريب الحديث لأبي عبيد الصفحة (هـ) من المقدمة ، مقدمة تهذيب اللغة للأزهري : ٦٥ – ٦٨ ، وجعل الأزهري أبا معاذ النحوي في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، مع أبي عبيد القاسم بن سلام (مقدمة تهذيب اللغة : ٦٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤

وبدأت المرحلة الثانية في علم « غريب الحديث » بظهور كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي (١) .

١ – ولد أبو عبيد (٢) بهراة ، في حدود عام ١٥٧ هـ ، وتبينت فيه مخايل النجابة والنبوغ منذ صغره ، فطلب العلم ، وسمع الحديث ، ودرس الأدب ، ونظر في الفقه ، وروى اللغة عن أعظم علماء عصره من أئمة اللغة ، أمثال أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، وأمثال ابن الاعرابي وأبي زياد الكلابي وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والأحمر والفراء ، وأبي الحسن علي بن حازم اللحياني وغيرهم من الكوفيين .

— وصل أبو عبيد أسبابه ببعض الحكام والأمراء في عصره ، كان مؤدباً لأولاد الهرثمة ، وتوثقت علاقاته بآل طاهر بن الحسين أمراء خراسان ، وبعبد الله بن طاهر منهم خاصة ، وعلت منزلته لديهم ، ولما

---

(١) طبع كتاب غريب الحديث لأبي عبيد في الهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، وصدرت أجزاؤه الأربعة ما بين سنتي (١٩٦٤ – ١٩٦٧ م) وصدر مصححه محمد عظيم الدين جزءه الأول بمقدمة فيها نقول من مخطوطة كتاب غريب الحديث للخطابي ، المحفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية .

(٢) انظر أبرز مصادر ترجمة أبي عبيد في انباه الرواة ٣ : ١٢ (الحاشية) والأعلام ٦ : ١٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٠١ – ١٠٢ ، ووفيات الأعيان (ح ، الدكتور إحسان عباس) ٤ : ٦٠ (الحاشية) ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الجديدة) ١ : ١٦١ – ١٦٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قدم بغداد وأقام بها يؤلف ويعلم ، تعرّف إلى ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ، وتولى ثابت أمر الثغور في عام ١٩٢ هـ ، أواخر عهد الرشيد ؛ فاصطحب أبا عبيد إلى طرسوس وولاه القضاء بها ثماني عشرة سنة (١٩٢ – ٢١٠ هـ) وقُدّر لأبي عبيد أن يسافر إلى مصر ، مع العالم المحدث الكبير يحيى بن معين ، في سنة ٢١٣ هـ ، فاستفاد ممن لقيه بها من العلماء وأفاد ، (كتب بمصر وحُكي عنه) ، ثم عاد إلى بغداد ، واستأنف سيرته الأولى يؤلف ويعلم ، ويذكر أبو بكر سنان بن محمد أنه سمع من أبي عبيد ببغداد سنة عشرين وإحدى وعشرين ومائتين ، ولحق أبو عبيد في أخريات أيامه بمكة مجاوراً ، بعد أن صنف ما صنف من كتبه ، ولم يزل بها إلى أن توفي في عام ٢٢٤ هـ ، وقد بلغ سبعاً وستين سنة .

كان أبو عبيد ذا فضل ودين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، عده الأزهري في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، وقال في صفته : « وكان ديناً ، فاضلاً ، عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، صاحب سنة ، معنياً بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ ، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل »(١) ويعده علماء اللغة الكوفيون من أبرز علمائهم ، وكبار أئمتهم(٢).

٢ – صنف أبو عبيد الكتب في فنون شتى ، في علوم اللغة والفقه ، والقرآن ، وغريب الحديث ، والامثال ، ومعاني الشعر ، وغير ذلك ،

---

(١) الفهرست : ٧٨ ، ١١٢ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ – ٤١٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ – ٦١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣ : ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، نور القبس : ٣١٤ – ٣١٥ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ ، تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، كتاب الأموال : ٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ – ٣١٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٥٩ – ٢٦٢ ، غريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٢٢٦

(٢) مراتب النحويين : ٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٩٩ – ٢٠٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان حسن الرواية ، صحيح النقل ، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً ، عدّ منها صاحب الفهرست عشرين كتاباً ، وذكر أن له غير ذلك من الكتب الفقهية (١) .

وكانت كتبه مستحسنة ، مطلوبة في كل بلد ، وقد أجزل له الامراء ، وبنو طاهر بن الحسين خاصة ، العطاء اعترافاً بفضله ، وجودة تآليفه . قال أبو الطيب اللغوي : « وكان أبو عبيد يسبق بمصنفاته إلى الملوك فيجيزونه عليها ، فلذلك كثرت مصنفاته » (٢) . وحظي أبو عبيد برواة ثقات مشهورين ، ذوي ذكر ونبل ، نبغوا وتصدروا للاقراء والافادة ، حملوا علمه إلى الآفاق ، وأقرأوا كتبه ، ونشروا مروياته ومسموعاته (٣) .

٣ - ليس من همنا الحديث عن كتب أبي عبيد ، المطبوع منها والمخطوط (٤) ، وإنما غرضنا أن نعرض بإيجاز لكتابه الشهير (غريب

---

(١) الفهرست : ١١٢ — ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ : وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ ، نور القبس : ٣١٥

(٢) الفهرست : ١١٢ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤

(٣) الفهرست : ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٥٧ — ٥٨ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٥ — ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ ، فهرست ابن خير : ١٨٦ — ١٨٧ ، انباه الرواة ١ : ٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢ : ١٤٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣ : ٢١ — ٢٢ ، ٢٦٣

(٤) المطبوع من كتب أبي عبيد :

أ — كتاب الامثال (انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ١٢١) ، كما طبع شرحه :

— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري (ط ١ ، ١٩٥٨ م ، ط ٢ ، ١٩٧١ م) .

ب — كتاب الأموال (مصر ١٣٥٣ هـ)

ج — كتاب الأجناس (الهند ١٩٣٨ م) =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث) ؛ الذي يعـــد بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل التـأليف في هذا الفن .

– كان السابقون ممن عرضوا لغريب الحديث من أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن لهم كبير مشاركة في علوم أخرى ، أما أبو عبيد فـكان أول من تصدى لهذا الفـن من التأليف ، ولم تكن اللغـة وحدها كل زاده ، كان ، كما ذكرنا ، متفنناً في أصناف علوم الإسـلام من القرآن والفقه والحديث والعربية والاخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، حتى قال فيه ابراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح ، يتكلم في كل صنف من العلم » . وأعانه ذلك على أن ينهج في تأليفه نهجاً جديداً ، يفيد فيه من مشاركته في علوم عدة متنوعة ، تتصل بالحديث متناً واسناداً ، ليخرج به على السنن الذي سلكه سابقوه في التأليف(١) .

– تتبع ابو عبيد أحاديث رسول الله على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين ، على تفرقها وتعددها ، وأحاط بكل ما أُلف قبله في هذا الشأن ، واستوعب كل ما سبقه ، فلما تكامل له جمع ما احتاج الى بيانه من الأحاديث

= د – كتاب غريب الحديث (الهند ١٩٦٤ – ١٩٦٧ م)

هـ – كتاب الإيمان (دمشق ١٣٨٥ هـ)

ونسب إليه :

و – كتاب النعم (ليبزيغ ١٩٠٨ م)

ز – رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب ، طبعت بهامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديريني (مصر ١٣١٠ هـ)

ح – كتاب الرحل والمنزل (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

ط – كتاب النخل والكرم (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ ، ٤١٣ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عرضها في كتابه مشفوعة بأسـانيدها ، وهذا مالم يقو عليه سابقوه ، ولا تطرقوا اليه(١) .

ـ كانت طريقته ان يورد الحديث ، ثم يعقب بذكر سنده ، ليمضي بعد ذلك في الكشف عما غمض من كلماته ، ويفسر الغريب من الفاظه ، وإذا اتفق أن كان اللفظ من المشترك فقد يتطرق إلى ذكر جملة من معانيه ، إضافة إلى معناه الوارد في الحديث . وقد يدعوه تفسير لفظة إلى تفسير أخوات لها تلاقيها في الاشتقاق . ويمتد به نفس القول احياناً ، فيما أشكل من الاحاديث ، فيمدّ من اطراف الشرح والتفسير ، ايضاحاً لمعناها ، وبيانا لوجهها ، وتأويلاً لمتشابهها ، وقد يستطرد الى ألوان من الفقه ، وبسط للأحكام ، ناقلاً في شروحه وتفاسيره أقوال ائمة اللغة ، مؤيداً قوله بآيات من القرآن وبشواهد من الشعر ، ليسترسل احياناً في تفسير ما جاء في الآيات والشعر من غريب .

ـ بدأ ابو عبيد كتابه بذكر أحاديث رسول الله ، ثم أتبعها ذكر أحاديث الصحابة فالتابعين ، كل على حدته(٢) . وعني ابو عبيد بكتابه أتم عناية ، بذل فيه جهده ووكده ، وأفنى فيه عمره ، حتى بلغ فيه مـا بلغ من الاجادة والاتقان في التصنيف . كان كلامه (كالمسمار في الساج) دقة وتحقيقاً ، واستهوت طريقته الجديدة التي سلكها في التأليف أهل الحديث والفقه واللغة ، فرغبوا في كتـابه ، وتسابقوا الى دراسته ، لاجتماع مـا يحتاجون اليه فيه(٣) .

---

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، وقد شغلت أحاديث رسول الله الجزءين الأول والثاني من الكتاب المطبوع ، وسبع صفحات ومائتين من الجزء الثالث ، أما أحاديث الصحابة فقد شغلت بقية الجزء الثالث (ص : ٢٠٨ ـ ٤٨٦) ، وإحدى وأربعين وثلثمائة صفحة من الجزء الرابـع ، وكان لأحاديث التابعين بقية الجزء الرابع ما بين الصفحة ٣٤٢ إلى الصفحة ٥٠٠

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ ـ ولعل من الخير أن نقتطف من كتاب غريب الحديث ما نتمثل به طريقة ابي عبيد واضحة جلية .

ـ (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت[١] ، قال : حدثناه الفزاري مروان واسحاق الأزرق او أحدهما ، عن عوف عن حيان عن قطن بن قبيصة عن قبيصة بن مخارق الهلالي عن النبي ﷺ .

قال أبو عبيد : قوله : العيافة ، يعني زجر الطير ، يقال منه : عفت الطير أعيفها عيافة ، ويقال في غير هـذا : عافت الطير تعيف عيفاً ، اذا كانت تحوم على الماء ، وعاف الطعام يعافه عيافاً ، وذلك اذا كرهه .

وأما قوله : « في الطرق » فانه الضرب بالعصا ، ومنه قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالعصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال : بعضهم يرويه : الضوارب بالعصا ، ومعناهما واحد ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد ، لأنه يطرق بها ، اي يضرب ، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف .

والطرق ايضاً في غير هـذا : الماء الذي قد خوضته الابلُ وبوّلت فيه ، فهو طرق ومطروق ، ومنه حديث ابراهيم : الوضوء بالطرق أحبُّ الي من التيمم ، وأما الطروق فانه من الطارق الذي يطرق ليلا ، وأما الاطراق فانه يكون من السكوت ، ويكون ايضاً استرخاء في جفون العين ، يقال منه : رجل مطرق . قال الشاعر في عمر بن الخطاب يرثيه :

وما كنت أخشى ان تكون وفاته بكفي سبتي أزرق العين مطرق[٢]

---

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٩٤ ، والنهاية (ح . الطناحي) ٣ : ١٢١ ، ٣٣٠

(٢) ينسب البيت للشماخ ، ولاخويه مزرد وجزء ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ق ٣ : ١٠٩٠ - ١٠٩٢ ، والاصابة ٦ : ٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما التطارق فهو اتباع القوم بعضهم بعضا ، يقال : قد تطارق القوم اذا فعلوا ذلك ، ومنه قيل للترسة : المجانّ المطرقة ، يعني قد اطرقت بالجلود والعصب اي أُلبسته ، وكذلك النعل المطرقة ، هي التي أضيفت اليها أخرى . واحد المجان : مجن) .[1]

---

(١) غريب الحديث ٢ : ٤٤ - ٤٨ ، والحديث صالح الاسناد

— مروان الفزاري ، شيخ أبي عبيد ، هو مروان بن معاوية ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، إلا أنه كان يدلس أسماء الشيوخ . مترجم في الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٥ — ٢٩٦ ،وميزان الاعتدال ٤ : ٩٣ — ٩٤ ، والعبر ١ : ٣١١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩٦- ٩٨ ، والتقريب ٢ : ٢٣٩

— وإسحاق الأزرق ، شيخ أبي عبيد الآخر ، هو إسحاق بن يوسف ابن مرداس المخزومي الواسطي ، من الثقات المأمونين . مترجم في الجرح والتعديل ١/١ : ٢٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣١٥ وتاريخ واسط : ١٥٦ — ١٥٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٣١٩ — ٣٢١ وتذكرة الحفاظ : ٣٢٠ — ٣٢١ ، والعبر ١ : ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٢٥٧ والتقريب ١ : ٩٣

— وعوف ، هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي الهجري أبو سهل البصري ، ثقة . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٥ ، والعبر ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ — ١٦٧ ، والتقريب ٢ : ٨٩

— وحيان ، هو حيان بن العلاء ، قال فيه الحافظ في التقريب ١ : ٢٠٨ ، مقبول . وهو مترجم في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٨

— وقطن بن قبيصة ، قال فيه الحافظ في التقريب ٢ : ١٢٦ ، صدوق . مترجم في أخبار أصبهان ٢ : ١٥٨ والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨١

— وقبيصة بن مخارق الهلالي ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٥ ،=

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : ان افضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر[1] ، حدثنيه يحيى بن سعيد ومحمد بن عمر الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال يحيى : عن عبد الله بن لحي ، وقال محمد : عن عبد الله بن نجي ، عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ .

قال ابو عبيد : قوله : يوم القر ، يعني الغد من يوم النحر ، وانما سمي يوم القر ، لان اهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج ، فاذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى ، فلهذا سمي يوم القر ، وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

قال ابو عبيد : سألت عنه ابا عبيدة وابا عمرو [الشيباني] فلم يعرفاه ، ولا الاصمعي فيما أعلم)[2] .

= والإصابة ٥ : ٢٢٧ ، والتهذيب ٨ : ٣٥٠ والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٧٧ عن يحيى بن سعيد عن عوف به ، وفيه بعده قال : العيافة من الزجر ، والطرق من الخط ، ثم أخرجه ٥ : ٦٠ عن روح عن عوف به أيضاً .

وأخرجه أبو داود ٤ : ٢٣ (عون المعبود) عن مسدد عن يحيى عن عوف به ، وفيه عقبه : « الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » عكس ما جاء عند أحمد في الموضع الأول . وأخرجه ابن سعد في ترجمة قبيصة في الطبقات ، عن أحمد بن جعفر بن مالك ، عن بشر بن موسى عن هوذة بن خليفة عن عوف به أيضاً .

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٢٦ ، والنهاية (ح ، الطناحي) ٤ : ٣٧

(٢) غريب الحديث ٢ : ٥٢ - ٥٣

- ويحيى بن سعيد ، شيخ أبي عبيد ، هو يحيى بن سعيد القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٤/٢ : ١٥٠ - ١٥١ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ ، والعبر ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٨ - ٣٠٠ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢١٦ - ٢٢٠ =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ - ألف أبو عبيد كتابه (غريب الحديث) ، عمله للخليفة المأمون

= — ومحمد بن عمر الواقدي ، شيخ أبي عبيد الآخر ، تكلم فيه غير واحد من أئمة الحديث ، وقال الحافظ في التقريب ٢ : ١٩٤ ، متروك مع سعة علمه . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٥ ، والجرح والتعديل ٤/١ : ٢٠ — ٢١ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ — ٢١ ، والعبر ١ : ٣٥٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣-٣٦٩

— وثور بن يزيد ، أبو خالد الكلاعي الحمصي ، ثقة ثبت ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٦٧ ، والجرح والتعديل ١/ ١ : ٤٦٨-٤٦٩ ، والعبر ١ : ٢١٩ ، وتذكرة الحفاظ : ١٧٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٣ — ٣٥ ، والتقريب ١ : ١٢١

— وراشد بن سعد المقرائي ويقال الحبراني الحمصي ، ثقة ، من أثبت أهل الشام . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٦ ، والجرح والتعديل ١ / ٢ : ٤٨٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ، والتقريب ١ : ٢٤٠

— وعبد الله بن لحي : الحميري ، أبو عامر الهوزني الحمصي ، ثقة ، مترجم في الجرح والتعديل ٢ / ٢ : ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٢٢١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ ، والتقريب ١ : ٤٤٤

— وعبد الله بن قرط ، الأزدي الثالي ، صحابي ، مترجم في الإصابة ٤ : ١١٨ — ١١٩ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٣٠١ : وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٦١ ، والجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٠ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٤١٥

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٥٠ عن يحيى بن سعيد عن ثور به ، إلا أنه سمى فيه عبد الله بن لحي : عبد الله بن نجي ، وفيه : أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر .

وأخرجه أبو داود ٢ : ٨٢ (عون المعبود) عن إبراهيم بن موسى الرازي عن عيسى ، وعن مسدد عن عيسى = عن ثور به ، وفيه بعده ، قال عيسى ، قال ثور : وهو اليوم الثاني.

وذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة عبد الله بن قرط أن حديثه هذا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن لحي عنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(تولى الخلافة ١٩٨ — ٢١٨ هـ) وقرأه عليه ، وعرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنه ، وأجرى عليه رزقا كل شهر ، ثم كان أول من سمعه منه المحدث الكبير يحيى بن معين ، أعلمُ الناس بصحيح الحديث وسقيمه ، وكتب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل كتاب غريب الحديث إعجاباً به وتقديراً (١) .

— وكان أبو عبيد معجباً بصنيعه ، يذكر ما عاناه في سبيله حتى استوى له على صورته التي تم عليها ، فقد روي عنه أنه قال : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة » (٢) .

وأقرأ أبو عبيد الناس ببغداد كتابه في (غريب الحديث) (٣) ، وأشار إليه في كتابه (الامثال) (٤) وأما كتابه الأجناس فمستخرج من غريب الحديث (٥) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٦ — ٤٠٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، نور القبس : ٣١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٩١

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٧ ، طبقات الحنابلة ١ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، وروى الأزهري هذه الكلمة لأبي عبيد في كتابه (الغريب المصنف) (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ — ٥٧) ، وفي مراتب النحويين : ٩٣ ، « قال أبو عبيد : جمعت كتاب (الغريب المصنف) في ثلاثين سنة » . أما القفطي فقد روى كلمة أبي عبيد مرة بصدد غريب الحديث ، ومرة بصدد الغريب المصنف (إنباه الرواة ٣ : ١٦ ، ٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٥

(٤) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ط ٢) : ٦٠١

(٥) الأجناس : ١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقُدر لكتاب أبي عبيد أن يحجب ما سبقه من كتب ، وأن يحتل المنزلة الأولى في كتب غريب الحديث ، حتى قال فيه ابن الأثير : « جمع أبو عبيد كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً ، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة في هذا الشأن » وكان الهلال بن العلاء الرقي يقول : « منَّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ، لولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام ، فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ، لولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ » وذكر ابن خلكان مقالة لقوم أجازوا لأنفسهم أن يجعلوا أبا عبيد أول من صنف في هذا الشأن إعجاباً بما جاء به فقال في كتابه وفيات الأعيان وهو يتحدث عن أبي عبيد : « ويقال : إنه أول من صنف في غريب الحديث » ، وكأنهم لم يعتدوا بتلك الكتب التي سبقت ، تفخيماً لصنيع أبي عبيد ، وتميزاً له عنها . وتناقلت الرواة كتاب أبي عبيد في مشرق الأرض ومغربها ، وكان له في الأندلس شأن أي شأن . « وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ، ويعتمدون في غريب الحديث عليه » ذلك بأنه انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون (١) .

٦ - وإذا كان كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد قد لقي

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، غريب الحديث لأبي عبيد ص (و) من المقدمة ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٠ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإعجاب والتقدير ، فـــإن ذلك لم يعفه من أن يعرض له عدة علماء بالنقد والرد .

ـ كان نقد بعضهم ينصبّ على أن أبا عبيد لم يأت في تصانيفه بجديد ، وإنما سلك طريقاً ملحوباً ، مهده له من جاء قبله من العلماء والأئمة ، يقول ابن درستويه (٣٤٧ هـ) في ذلك ـــ وكان ابن درستويه شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة ـ : « وقد سُبق [أبو عبيد] إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك الغريب المصنف ... وكتاب غريب الحديث ، أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ... فجمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم وفسره ، وذكر الأسانيد ... وكذلك كتابه في معاني القرآن ... » ويمضي ابن درستويه ليؤكد أن أبا عبيد في كتبه قد عمد إلى كتب السابقين فأفاد منها ، وقد يضيف إليها ما يحسنها [١].

وجاء أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ هـ) ـ وكان مفرط العصبية للبصريين ، يُنحي على من سواهم ، ولا يرى العلم إلا ما جاءوا به [٢] ـ فأيد مقالة ابن درستويه في اعتماد أبي عبيد في تآليفه على السابقين ، ينتزع كتبه من تصانيفهم ، كما أضاف إلى ذلك أن أخذ على أبي عبيد قلة روايته في اللغة ، وأن أكثر ما يحكيه عن علماء البصرة غير سماع ، قال في حقه : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه مصنف حسن التأليف ، إلا أنه قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها .... وأما كتابه في (غريب الحديث) فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في (غريب الحديث) .... وذكر أهل البصرة أن أكثر ما يحكيه عن

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، البلغة للفيروز ابادي : ١٠٧ ، وصحفت كلمة (سبق) بالباء الموحدة في طبعة تاريخ بغداد إلى (سيق) بمثناة تحتية .

(٢) مراتب النحويين : ٢٤ ـ ٢٧ ، ٧٤ ـ ٧٥ ، ٩٠ ـ ٩٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علمائهم غير سماع ، إنما هو من الكتب . . . . وكان ناقص العلم بالإعراب » (١) .

– وتصدى علماء لنقد كتاب (غريب الحديث) خاصة ، قال إبراهيم الحربي (٢٨٥ هـ) : « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائتي حرف « سمعت »، والباقي : « قال الأصمعي ، وقال أبو عمرو » ، وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها ، أتي فيها أبو عبيد من أبي عبيدة معمر بن المثنى » وفي رواية أخرى عنه : « في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل » وفي رواية ثالثة عنه : « في كتاب أبي عبيد : غريب الحديث ، مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي » (٢) .

– وردّ أبو سعيد أحمد بن خالد البغدادي الضرير على أبي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب (غريب الحديث) (٣) .

– ثم قام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بوضع كتاب فيما أخذه على أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، سماه إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث (٤) .

---

(١) مراتب النحويين : ٩٣

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٥ – ٣٦ و ١٢ : ٤١٣ ، معجم الأدباء ١ : ١٢١ ، نزهة الألباء : ٢٧٧ ، نور القبس : ٣١٥ وفي مطلع عبارة (نور القبس) سقط يستكمل من تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٣

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري : ٦٣ – ٦٤ ، إنباه الرواة ١ : ٤١ ، معجم الأدباء ٣ : ١٦ – ١٧ ، بغية الوعاة : ١٣١ – ١٣٢

(٤) الفهرست : ١٢٢ ، ١٣٥ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ ، بغية الوعاة ٢٩١ ؛ وسنفصل القول في الكتاب حين نتحدث عن ابن قتيبة وجهوده في غريب الحديث ، في الفقرة التالية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ وألّف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة كتاب (الرد على أبي عبيد في غريب الحديث) [١] .

٥

ويعد ابن قتيبة الرجل الثاني الذي يمثل هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف في غريب الحديث ، والتي بدأها أبو عبيد .

١ ـ ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري [٢] في سنة ٢١٣ هـ ببغداد ، وقيل : بالكوفة ، ونشأ وترعرع في جنبات بغداد ،

---

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٢٢ ، وقد رد علماء آخرون على أبي عبيد القاسم بن سلام ، ولكننا لم نورد هنا إلا ما كان من ردود علماء القرن الثالث الهجري ومطالع الرابع ، وإلا ما كان صريحاً في الرد على غريب الحديث خاصة ، لا في الرد على كتاب آخر من كتب أبي عبيد كالغريب المصنف ، ولا في الرد على غلط أبي عبيد في كتبه عامة ، مثل كتاب أبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعودا (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه) ، ومثل كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (٣٤٥ هـ) ، (ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه وصنفه) انظر الفهرست ١١٦ ، ١٢٠ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ و ١٩ : ١٠٥ .

(٢) انظر مصادر ترجمة ابن قتيبة في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٥٠ ـ ١٥١ ، وكتاب المعاني الكبير ، الصفحة (د) من المقدمة ، وكتاب عيون الأخبار ٤ : ١٢ (من المقدمة) . وقد خصه الأستاذ السيد أحمد صقر بكلمة طيبة في مقدمة كتاب : تأويل مشكل القرآن ، ثم أفرد له الأستاذ جيرار لكونت كتابه الجامع الوافي (ابن قتيبة) (ط . المعهد الفرنسي بدمشق ـ ١٩٦٥ م) ، وهو بعد من أجود الدراسات التي صدرت عن ابن قتيبة حتى الآن ، وقد عرض في كتابه لمصادر ترجمة ابن قتيبة ، والدراسات التي ألفت عنه ، كما حرر الأستاذ لكونت مقالة ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الفرنسية) ٣ : ٨٦٨ ـ ٨٧١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فتأدب، على أيدي علمائها وفقهائها ومحدّثيها . وهو مروزي الأصل وإنما سمي الدينوري لأنه ولي قضاء الدينور (١) مدة فنسب إليها ، وإذ كانت الدينور من أمهات مدن الجبل أجاز البيروني لنفسه أن يجعله (الجبلي) (٢).

ـ كان ابن قتيبة منذ نشأته طلعة ، ذا نفس تواقة إلى المعرفة والنظر في كل علم ، يقول عن نفسه : « وقد كنت في عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم »(٣)، فغشي مجالس الفقه والتفسير والحديث ، وتردد على حلقات الأدب واللغة والتاريخ ، ونهض بعبء الطلب حق النهوض ، يريد أن يلم بكل شيء ، مشغوفاً بالدرس ، لا يختار عنه بديلاً ، حتى توصل إلى ما شاء من تلك الثقافة العريضة ، واجتمعت له علوم كثيرة ، فهو عالم باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن والحديث ومعانيها ، والشعر ، والفقه ، روى عن كبار أئمة اللغة في عصره أمثال أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨ هـ) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) وأبي الحسن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي سعيد أحمد بن خالد المكفوف البغدادي (٤) ،

---

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين كثيرة الثمار والزروع ، ولها مياه ومستشرف . والدينور بمقدار ثلثي همذان ، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) .

(٢) الآثار الباقية : ٢٣٨ ، والجبل أو الجبال : هي البلاد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة (معجم البلدان ، كلمتا : الجبل ، والجبال) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : ٦١

(٤) أخطأ القفطي في إنباه الرواة (١ : ٤١) حين ذكر أن أبا سعيد الضرير (المكفوف) قدم على ابن قتيبة وأخذ عنه ، فعكس الأمر وقلب الواقعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩ هـ) [١] . وبلغ من اتساعه في المعرفة ، وافتنانه في العلوم أن عده الذهبي : من أوعية العلم . وكان ابن قتيبة صادقاً فيما يرويه ، ثقة ، ديناً ، فاضلاً .

— ألف ابن قتيبة الكتب الحسان في فنون شتى من القرآن والحديث والفقه والأخبار واللغة والشعر ، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وكان كثير التصنيف والتأليف ، عدد له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً من تآليفه [٢] وقال : « وكتبه بالجُبل مرغوب فيها » ، وقال أبو زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ) وهو يتحدث عن ابن قتيبة : « وله مصنفات كثيرة جداً ، رأيت فهرستها ونسيت عددها ، أظنها تزيد على مئتين مصنفاً في أنواع العلوم » [٣] .

تنوعت تآليف ابن قتيبة بتنوع معارفه ، وكان لكتبه شأن أي شأن في المغرب والاندلس حتى كانوا يقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه ، وقال ابن كثير : « وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه » ، وعد ابن خلدون في مقدمته كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة واحداً من أربعة دواوين هي أصول علم

---

(١) ذكر الفيروز ابادي في البلغة : ١١٦ ، أن ابن قتيبة روى عن ابن الأعرابي ، وقد تفرد الفيروز ابادي بهذه الرواية ، ولعله وهم بمحمد بن زياد ابن عبيد الله الزيادي أحد شيوخ ابن قتيبة . وانظر شيوخ ابن قتيبة في مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٣-٦ ، وفي كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت: ٤٥-٧٤

(٢) ذكر ابن النديم وهو يعدد كتب ابن قتيبة كتاب عيون الشعر ، وأنه يحتوي على عشرة كتب منها كتاب المراتب ، ثم عاد فذكر كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر ، فإذا أسقطنا الثاني لأنه جزء من الكتاب الأول ، كان ما ذكره ابن النديم من كتب ابن قتيبة اثنين وثلاثين كتاباً (الفهرست : ١٢١ - ١٢٢) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ، الجزء الثاني : ٢٨١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدب وأركانه . وتوفي ابن قتيبة فجأة في سنة ٢٧٦ هـ[١] .

٢ ـ لن نعرض لكتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع[٢] ، ولا لاختلاف آراء العلماء فيها ، وكل ما يعنينا انما هو كتابه الذي ألفه في (غريب

---

(١) الفهرست : ١٢١ ـ ١٢٢ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ ـ ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ ـ ٤٤ ، بغية الوعاة : ٢٩١ ، البلغة للفيروز ابادي : ١١٦ ، مراتب النحويين : ٨٤ ـ ٨٥ ، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية : ١٢١ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٤٨ ، ٥٧ و١٣ : ٢٧٨ـ٢٧٩ ، مقدمة ابن خلدون : ٤٨٩ ، تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ـ١٧١

(٢) المطبوع من كتب ابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، أدب الكاتب ، الأشربة ، إصلاح الغلط ، الأنواء ، تأويل مختلف الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الشعر والشعراء ، العرب ، عيون الأخبار ، المسائل والأجوبة ، المعارف ، المعاني الكبير ، الميسر والقداح .

وينسب إليه كتاب الإمامة والسياسة وليس له ، ورسالة في النبأ واللبن منتزعة من كتاب الجراثيم المنسوب إليه (البلغة في شذور اللغة : ١٤٦ ، ط ١٩١٤ م بيروت) .

وذكر صاحب الأعلام في المستدرك الثاني : ١٣٣ أن كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث قد طبع جزءان منه في الهند ، ولست على يقين من صحته . وقد جمع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة في كتاب القرطين المطبوع في القاهرة (١٣٥٦ هـ) .

وانظر صفة كتب ابن قتيبة في مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار ، ٤ : ١٩ ـ ٣٨ ، وفي مقدمة كتاب القرطين ، الصفحة (ط ـ ص) ، وفي مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٧ ـ ٣٥ ، وفي الفصل الخامس من كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت : ٩٣ ـ ١٧٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث) ، يتابع فيه الطريقة التي ابتدأها أبو عبيد القاسم بن سلام وكان أبا عُذرها .

— نشأ ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري ، القرن الذي كان من أخصب القرون في حفظ الحديث وتدوينه وروايته والتأليف فيه ، وشهد ابن قتيبة كبار المحدثين والحفاظ ، وحذاق اصحاب الجرح والتعديل ، وكان ، كما ذكرنا ، منهوماً بالعلم ، متعلقاً بالمعرفة ، قد أخذ من كل علم بطرف ، وأتيح له أن يلي القضاء ، فدفعه ذلك الى ان يمضي في بسط آفاق معرفته في اللغة والأدب والفقه والحديث والتفسير وأمثالها ، ليكون أقدر على الحكم ، وأدنى الى الصواب في القضاء ، ومال ابن قتيبة الى الحديث وأصحابه ميلاً شديداً ، وآثر طريقتهم ، وحمد نهجهم(١) . وكان له من ثقافته الدينية واللغوية ما هيأ له أن يشارك في (غريب الحديث) .

— كان ابن قتيبة شديد الاعجاب بسلفه أبي عبيد ، تعرّف الى مؤلفاته وهو في طراءة العمر ومقتبل الشباب ، فقد هيأ له أستاذه ابو العباس احمد بن سعيد اللحياني صاحب ابي عبيد القاسم بن سلام طريق الاطلاع عليها ، حدثه بكتابي ابي عبيد : الأموال ، وغريب الحديث في عام ٢٣١ هـ ، وابن قتيبة في الثامنة عشرة من عمره ، فأشرب قلبه حبه ، ومال اليه وسمع كتبه ، وعكف على مؤلفاته(٢) .

— واستأثر به كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد ، وأعجبته طريقته التي اختطها في تأليفه ، وأخذ نفسه بمدارسته حتى كان منه أبداً على ذكر ،

---

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧٣ — ٨٦

(٢) إصلاح الغلط : ٦ ، ٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٤٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يستشهد به ، ويعود اليه ، وينهل منه ، وكان من أثر إكباب ابن قتيبة على غريب أبي عبيد ، قراءة ومدارسة وتمحيصاً ، أن تبين له ان ابا عبيد لم يحط بكل الأحاديث التي تحتاج الى تفسير أو بيان ، وأن ما ندّ عنه وشرد ، لايقل عما أثبت وقيّد ، وتشوّف الى أن يصنع مثل صنيعه ، في غريب الحديث ، وألزم نفسه ان يمضي على النهج الذي اختطه ابو عبيد وحدده ، فيتم بعمله ما بدأه الرائد الأول ، ويشيد ما أسس ، ويكون كتابه صلة لغريب ابي عبيد وتكملة . فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، حذا فيه حذو ابي عبيد في طريقته ، ولم يودع كتابه شيئاً من الأحاديث التي ذكرها ابو عبيد في كتابه ، بل فسر من الأحاديث مالم يفسر ابو عبيد ، الا ما دعت اليه حاجة من زيادة شرح أو بيان أو استدراك أو اعتراض .

— لم يؤلف ابن قتيبة كتابه ، أول ما ألفه ، على النحو الذي انتهى إلينا ترتيباً وتبويباً ، بل إنه حين ابتدأ في عمل الكتاب أطلع عليه قوماً من حملة العلم فسألوه ان يخرج لهم ما يؤلف في كل اسبوع ، فلما تم لهم الكتاب وسمعوه من ابن قتيبة حمله قوم منهم الى الامصار . ثم عرضت لابن قتيبة بعد ذلك أحاديث كثيرة لم يكن فسرها ، فعمل بها كتاباً ثانياً سماه الزوائد في غريب الحديث[1] .

— ثم كان من شأن هذه الصلة الوثيقة التي ربطت بين ابن قتيبة وكتاب أبي عبيد في الغريب أن تكشفت له مواضع جانب فيها أبو عبيد الصواب ، وخالف عن القصد في تفسيره ، فألف ابن قتيبة في ذلك كتاباً

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ ، ٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سماه (اصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث)[١] ، ذكر فيه الأحاديث التي أداه اجتهاده ان يخالف ابا عبيد في تفسيرها ليعرض تفسيراً آخر يراه الصواب ، وأنه المعنى المراد ، ولكنه لم يغفل عن ان يشيد ، في مقدمة كتابه ، بفضل أبي عبيد عليه ، وانه منه تعلم ، وعنه أخذ ؛ ولم ينس ان يذكر ان ما قام به من اصلاح الفساد وسد الخلل ، قليل في جنب صواب ابي عبيد . إن ابن قتيبة يتحدث عن سلفه بكل التجلة والتقدير (وما أحسنه أدبا) ؛ فهو يقول : « ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ ابا عبيد رحمه الله في تفسيرها ، على قلتها في جنب صوابه ، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه »[٢] .

لم يطل ابن قتيبة في اصلاحه وقصر مآخذه على ثلاثة وخمسين حديثاً وقع فيها زلل فنبه ابن قتيبة عليه ، ودل على الصواب فيه . وهو حقاً شيء

---

(١) قام الأستاذ جيرار لكونت بتحقيق إصلاح الغلط عن نسختي أيا صوفيا والظاهرية ، ونشره في مجلة جامعة القديس يوسف ببيروت عام ١٩٦٨

وذكر صاحب كشف الظنون (١ : ١٠٨) أن أبا المظفر محمد بن آدم ابن كمال الهروي (٤١٤ هـ) قد شرح إصلاح الغلط لابن قتيبة (انظر ترجمة أبي المظفر محمد في معجم الأدباء ١٧ : ١١٦ — ١١٧ ؛ وبغية الوعاة : ٤ ؛ وإنباه الرواة ٣ : ١٢٦) .

وذكر أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري أن ابن قتيبة حدثهم باصلاح الغلط من أوله إلى آخره في سنة ٢٦٨ هـ بعد أن قرأ عليهم كتاب غريب الحديث (مجلة الدراسات الشرقية ٢١ : ٣٩٤ ، مقدمة اصلاح الغلط : ٤) ولم يكتف ابن قتيبة بتعقب أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، بل تعقبه في اختيار القراءات أيضاً . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١ : ٥٠١ ٢ : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٤

(٢) إصلاح الغلط : ٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قليل في جنب ما ألفه ابو عبيد(١) .

— ثم بدا لابن قتيبة ، وقد أفرد لمآخذه على ابي عبيد كتاب اصلاح الغلط ، أن يعيـــد النظر في كتابيه المؤلفين اولاً في الغريب ، ليجمعهما في كتاب واحد ، مع ما يقتضيه ذلك الجمع من تنسيق بين مـا جاء في الكتابين ، بتقديم ما يجب تقديمه ، واسقاط ما يحسن اسقاطه ، فجـــاء كتابه مثل كتاب ابي عبيد او اكبر منه ، واذ كان عمله انما هو اكمال لمـــا فات ابا عبيد ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « ذيّل ابن قتيبة على ابي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه »(٢) .

٣ — ونقتطف، هنا ، كلمات لابن قتيبة من مقدمة كتابه (غريب الحديث) يصف بها تجربته في التأليف وصنيعه في الاقتداء بسلفه أبي عبيـد ، قال ـ بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تشكل على حملة العلم ـ :

« .... ومثلُ هذا كثير ، يطول بذكره الكتاب ، وفيما ذكرت منه ما دلّ على ما أردت ، وستقف على تفسير هذه الأحاديث في أضعاف الكتاب إن شاء الله . وقد كان تعرّف هذا وأشباهه عسراً ، فيما مضى ، على من طلبه ، لحاجته إلى أن يسأل عنـه أهل اللغة . ومن يكمل منهم لتفسير غريب الحديث وفتق معانيه وإظهار غوامضه قليل . فأمـا زماننا هذا فقـد كُفي حملة الحديث فيه مؤونة التنقير والبحث ، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما ألفناه في كتابنا هذا بحمد الله . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمـع تفسير غريب الحديث ،

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ـ ١٩٠، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩.

(٢) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبتُ ذلك بالنظر والتفتيش ، والمذاكرة ، فوجدتُ ما ترك نحواً مما ذكر ، أو أكثر منه ، فتتبعت ما أغفل ، وفسرته على نحو ما فسّر ، بالاسناد لما عرفت إسنادهُ ، والقطع لما لم أعرفه ، وأشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر . وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب ، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها ، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ويتمتع قارئه ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه ، ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فنبهت عليه ، ودللت على الصواب فيه ، وأفردتُ لها كتاباً يدعى كتاب (إصلاح الغلط) ، وإلا حروفاً تعرض في باب ، ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكرها ، فذكرتها بزيادة في التفسير والفائدة . ولن يخفى ذلك على من جمع بين الكتابين . وكنتُ حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص على تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل أسبوع ، ففعلت ذلك حتى تم لهم الكتاب ، وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلى الأمصار . ثم عرضتْ بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب الزوائد في غريب الحديث ، ثم تدبرتُ الكتابين فرأيت الأصوب في الرأي أن أجمعها ، واقدم ما سبيله أن يُقدم ، وأؤخر ما سبيله أن يُؤخر ، وأحذف ماسبيله أن يحذف ، فمن رأى ذينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب فليعلم انها شيء واحد ، وأن الاختلاف بينها إنما هو بتقديم وتأخير وحذف مكرر من التفسير ، ورأيت أن أفتتح كتابي هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه [١] .... ثم ابتدأت تفسير غريب حديث النبي ﷺ ، وضمنته الأحاديث التي يدّعى بها على حملة العلم حمل التناقض ، وتلوته بأحاديث صحابته رجلًا رجلًا ، ثم بأحاديث التابعين ومن بعدهم ، وختمت الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمعت أصحاب اللغة يذكرونها ، لا أعرف أصحابها ولا طرقها ، حسنة الألفاظ ، لطاف المعاني ، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافا . وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ، وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا .... » [٢] .

– وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة في تأليف كتابه غريب الحديث، وتنقيحه إياه بعد ذلك هي التي تفسر لنا إشارة ابن قتيبة إلى كتابه غريب الحديث في بعض كتبه ، ثم إشارته إلى تلك الكتب في كتابه الغريب [٣] .

٤ – كان ابن قتيبة مغتبطاً بكتابه (غريب الحديث) ، راضياً عنه ، فقد احتفل له وتهيأ ، وبذل فيه ما بذل من جهد ، مما سمح له أن يقول في خطبة كتابه : « وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين ، من غريب

---

(١) وسلك نحو هذا في كتابه تفسير غريب القرآن حين افتتحه بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وأتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب لم ير بعض السور أولى بها من بعض (تفسير غريب القرآن : ٣) .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ – ٤

(٣) ذكر ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) في كتابيه : (إصلاح الغلط) ٣ ، ١٩ ، و (تأويل مشكل القرآن) (ط ٢) : ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ٢٦٥ ، كما ذكر في غريب الحديث (مخطوطة الظاهرية) كتابه إصلاح الغلط (١ : ٣ ، ٧٠) ، وكتابه مشكل القرآن (١ : ٩) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث ، ما يكون لأحد فيه مقال » ، وأشار ابن قتيبة إلى كتابه (غريب الحديث) في عدة كتب له ، أشار إليه في : أدب الكاتب ، وإصلاح الغلط ، وعيون الأخبار ، والأشربة ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمسائل والأجوبة . بل إنه في كتاب (المسائل والأجوبة) عطف على كتابه في غريب الحديث ليضيف إليه أحاديث عرضت له ، لم يكن قد أوردها فيه ، إتماماً له واستكمالاً [١] .

— واختلف العلماء في تقدير ابن قتيبة وأعماله ، وليس من غرضنا استعراض ما قالوه [٢] ، بل نقف ، ما أمكن ذلك ، عند أقوالهم بشأن

---

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦ ، المسائل والأجوبة : ١٥ - ٢٠ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن للسيد أحمد صقر : ١٠ — ١١ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٧ ، ويذكر ابن خير في فهرسته : ١٩٥ ، كتاب المسائل لابن قتيبة ، في معاني غريب القرآن والحديث ، مما لم يقع في كتاب الغريب .

— وفي الظاهرية نسخة من (غريب الحديث) لابن قتيبة ، تتألف من الجزءين : الأول (وعدد أوراقه ١٣٩) والثالث (وعدد أوراقه ١٣٤)، ونسخة ثانية من ثماني أوراق ، تتضمن القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب . وفي مكتبة شستربتي المجلد الثاني من غريب الحديث من نسخة قديمة جداً مكتوبة ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ .

انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : ١ ـ المنتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني : ٩٤ ، ٢ ـ علوم اللغة العربية للسيدة أسماء حمصي : ١٠٢ — ١٠٦ ، المستدرك الثاني من كتاب الأعلام : ١٣٣ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن : ١٠ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٨ ، مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي بدمشق) ٢١ : ٣٥١ — ٣٥٨، ٣٦٨ — ٣٩٣ ، مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني : ١٧٢ رقم ٣٤٩٤ .

(٢) انظر آراء العلماء في ابن قتيبة في مقدمة تأويل مشكل القرآن : ٤٥-٧٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتابيه : إصلاح الغلط ، وغريب الحديث خاصة ، ونستطيع أن نقول ان ابن قتيبة قد تألب عليه في هذا الباب فئتان : فئة من اللغويين المختصين الذين وقفوا أنفسهم على اللغة وعلومها ، وتفرغوا لها تفرغ عابد متبتل في محاريبها ، فلم ينظروا إلى ابن قتيبة نظرة الرضا ، إذ كان مشاركاً في علوم جمة ، ولم يقصر همه على اللغة وحدها ، حفياً بها منصرفاً اليها ، وفئة ثانية ليست من جنس الأولى ، نقمت عليه أن ينقد أبا عبيد ، وأن يجرؤ على تخطئته ، وهي التي تربأ بأبي عبيد عن الهفوة ، وتأبى له الزلة ، فقد أصبح أبو عبيد قمة لا يطالها الآخرون والإمام المقبول عند الناس كافة ، ترسخت مكانته اللغوية بكتابيه (الغريب المصنف) و (غريب الحديث) ، فانكب الناس عليهما درساً وحفظاً ، حتى قال أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »(١) . ورزق أبو عبيد أصحاباً حفظوا عنه ، واقرأوا كتبه ، وأنصاراً راحوا يتشبهون به ويمضون على سنته ، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، وغدا الامام القدوة مضرب المثل . فأنّى لابن قتيبة أن يقاس به ، وأين نجره من نجاره(٢) .

— ونستطيع أن نعد من رجال الفئة الأولى أبا علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة ، فقد ألف كتابه (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ، وكان من قبل قد رد على أبي عبيد(٣) .

ونضم إليه أبا الطيب عبد الواحد بن علي النحوي (٣٥١ هـ) الذي قال في حق ابن قتيبة : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٦ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٧ ، إنباه الرواة ٢ : ٧٧-٧٨

(٢) انباه الرواة ١ : ١٢٥ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٩٢ ، وانظر بشأن أصحاب أبي عبيد ما سبق (ص : ٨٣ ، رقم ٣) .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، وانظر ماسبق (ص : ٩٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخذ عن أبي حاتم [السجستاني] ... إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ، ومن لا بصيرة له »[١] .

كما نستطيع أن نعد من رجال الفئة الثانية محمد بن نصر المروزي (٢٩٤ هـ) الذي انتصر لأبي عبيد ، وردّ على ابن قتيبة اعتراضاته ، وردوده على أبي عبيد[٢] .

وكانت الفئة الثانية تتعاظم ويزداد عددها ، فقد غدا ابو عبيد يتعالى شأنا على كرور الايام ، ويزيده مر القرون رفعة وتجلة ، فاذا نحن نستقبل على مدارج السنين فئات اثر فئات ، يتدارسون كتبه ، ويتناقلونها ، يرويها عدلٌ عن عدلٍ ، ينضحون عنها وينافحون ، وتقاس كتبهم واعمالهم بما كتب وعمل ، ويُعد منبهة لأحدهم ما رواه من كتب ابي عبيد ، بل يكبل احدهم نفسه حتى يحفظ كتابه (الغريب المصنف) ، فعل الفرزدق حين قيد نفسه ليحفظ القرآن . ثم هم يمضون ابعد من ذلك ليحاولوا ترتيب كتب ابي عبيد وتنسيقها او اختصارها ، او التذييل عليها[٣] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك الصوت المتأخر الذي انطلق من الأندلس

---

(١) مراتب النحويين : ٨٤ – ٨٥

(٢) لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣١٥

(٣) انباه الرواة ١ : ٢٩ ، ٢٦٨ ، ٢ : ٣١٠ ، بغية الوعاة : ٤٢ ، ٧٥ ، البلغة للفيروزبادي : ١٤٩ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٥٩ ، المحمدون من الشعراء : ٢٧٠ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في أواخر المائة الخامسة أو في أوائل السادسة ينتصر لأبي عبيد على ابن قتيبة ، ذلك هو صوت ابي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري (٥٢٠ هـ) الاديب الشاعر الكاتب المترسل الذي الف كتاباً في الانتصار لابي عبيد[١] .

ولعل ابا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ هـ) ، وهو من اشد الناس منافحة عن مذهب الكوفيين ، قد جمع في هجمته على ابن قتيبة الصفتين السابقتين ، فشن عليه حملة لا هوادة فيها . وكان عنيفاً قاسياً في كتاباته وردوده ، نسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة .

كان ابو بكر ابن الانباري من اعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، حدث انه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها وثلاثمائة الف بيت شاهدة في القرآن ، وكان يملي من حفظه لا من كتاب . انتصب ابن الانباري للدفاع عن الكوفيين ، وكان أبو حاتم السجستاني البصري ينال منهم نيلاً شديداً ، ويصغّر من أقدارهم ، ولعل ابن قتيبة قد قبل من استاذه ابي حاتم بعض آرائه ، او نظراته ، فما هو الا ان الف كتابه (إصلاح الغلط) حتى لاحت الفرصة مواتية لابن الأنباري فآذنه واستاذه ابا حاتم بحرب واستعرض اكثر من كتاب من كتبه ، ليسلقه بلسانه حديد ، تمده حافظة لا تعرف النسيان . رد على ابن قتيبة قريباً من ربع ما ألفه في مشكل القرآن ، « عمل رسالة المشكل رداً على ابن قتيبة وابي حاتم ونقضاً لقولهما » . واستدرك على ابن قتيبة مواضع في كتابيه غريب الحديث واصلاح الغلط[٢] . يقول ابن الانباري يتحدث عن

---

(١) فوات الوفيات ٢ : ١٩

(٢) طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٥٣ - ١٥٤ ، انباه الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٧١ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص (و) ، الأضداد لابن الأنباري : ٩٤ - ٩٥ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ أمالي القالي ١ : ١١٨ - ١١٩ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٠ ، ١٢٨ ، ٣٣٦ - ٣٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السجستاني: « وقد انكر هذا رجل من أهل البصرة يعرف بابي حاتم السجستاني ، معه تعدٌّ شديد ، واقدامٌ على الطعن في السلف ، قال : فحكيت ذلك لاحمد بن يحيى [ثعلب] فقال : هذا من ضيق عطنه ، وقلة معرفته»(١) .

٥ ـ لن يدخل في تقسيمنا هذا أولئك اللغويون الذين كانوا يرجحون ابا عبيد على ابن قتيبة ، ولكنهم سلكوا طريقاً وسطاً ، فكانوا يصححون مازلَّ به ابن قتيبة ، ويستدركون عليه اللفظة تلو اللفظة فإذا رأوا أن وجه الحق قد لاح بجانبه ، آزروه ، ورجحوا قوله .

نذكر من بين هؤلاء اللغويين الإمام أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ)الذي كان يوثق ابن قتيبة في روايته ، ولا يدفعه عن الصدق فيما يحكيه عن أئمة اللغة ، « فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض ، أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة ، وألفيته يحدس بالظن فيما لايعرفه ولا يحسنه » ، ومن هنا كان يرى البون بعيداً بين الرجلين ، وان أبا عبيد أعلى كعباً ، وأرفع منزلة ، على ما وقع فيه من أغلاط ، وقد أشار في كتابه التهذيب إلى مآخذه على أبي عبيد وابن قتيبة في غريبيهما(٢) ، وإن كان قد أفاد منهما في تهذيبه كل الافادة .

ونذكر من بينهم الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) الذي عرض في أماليه لابن قتيبة وأبي عبيد ، وما جاء به ابن الأنباري ، وحاول أن يرجح من الأقوال ما تبين له رجحانه ، باسلوب هادىء متزن ، لا غلو فيه ولا عصبية(٣) .

---

(١) لسان العرب (شنأ) .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ١٠٢ ، ١٨٨

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥ ـ ٩ ، ١٥ ، ١٧ ـ ١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٦ ـ ١٥٨ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ـ ٤٣٢ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٧ ، ٦٣٢ ـ ٦٣٥ ، و ٢ : ٥ ـ ٩ ، ٥٠ ـ ٥٣ ، ٨١ ، ٨٢ ـ ٨٦ ، ٢٠٠ ـ ٢٠٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونضيف إلى ذلك جماعة علماء الغريب من أمثال الزاهد والخطابي والهروي والزمخشري وابن الأثير الذين كانوا يأخذون ويدعون ، وفق ما يترجح لديهم ، وإن كانوا يدينون لغريبي أبي عبيد وابن قتيبة بأعظم الدين .

٦ — مهما يكن من شيء ، فقد أصبح كتابا أبي عبيد وابن قتيبة يؤلفان كلًا واحداً متكاملًا في « غريب الحديث » ، استأثرا باعجاب العلماء وتقديرهم في مشرق الأرض العربية ومغربها ، فكانوا يثلون إليهما ويعولون عليهما .

يقول الإمام الخطابي (٣٨٨ هـ) في صنيع أبي عبيد وابن قتيبة في غريب الحديث : « وكان أول من سبق إليه ، ودلّ من بعده عليه ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، وصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتاباً لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صبابة للقول »[1] .

ولما أعاد الخطابي القول ، بعد ذلك ، في مقدمة كتابه فذكر الكتب الأخرى المؤلفة في غريب الحديث لم يلبث أن عطف قائلًا ، ان في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكره قبل ، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمنت الأحاديث المودعة فيها ، من تفسير وتأويل ، وزادا عليه ، فصارا أحق به وأملك له ، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتها[2] .

ثم عرض الخطابي لايضاح الفروق بين كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، وهو في معرض الموازنة بينهما وبين كتب الغريب الأخرى فقال : « ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص(و) ، تأويل مشكل القرآن ، مقدمة المحقق : ٩-١٠ (٢) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه ، ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وايراد الحجة وذكر النظائر وتخليص المعاني »[١] .

ـ غدا الكتابان مورداً عذباً تزاحم عليها الدارسون ، ومصدراً هاماً يستشهد أئمة اللغة وعلماؤها بما جاء فيها من أقوال ونقول[٢] . وبلغ من إعجاب الناس بالكتابين أن والوا النظر فيها ورددوه . وأخذ بعضهم نفسه بحفظها أو أحدهما [٣] ، وانتدب لها من تناولها أو أحدهما بالتهذيب أو الاختصار أو التذييل والزيادة ، أو الشرح : ألف أبو الهيثم الرازي (٢٧٦ هـ) كتاب ما زاد في الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد[٤] ، وقام الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (٤٤٧ هـ) فجمع كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، واختصرهما بكتاب : « تقريب الغريبين لأبي عبيد وابن قتيبة »[٥] ، وصنف أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الأندلسي الشاطبي (٤٦٥ هـ) ، غريب الحديث لأبي عبيد ، على حروف المعجم ، وجعله أبواباً [٦] ، ثم تعرض أبو الحسن علي بن عبد الله العقيلي (٥٤٦ هـ) إلى غريب الحديث لأبي عبيد فقفاه على الحروف [٧] . وأما عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ هـ) فقد صنف غريب الحديث الكبير ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي [٨] .

ـ للبحث صلة ـ

---

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

(٢) المخصص ١ : ١٢ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة : ٧

(٣) الصلة ١ : ١٧ (٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٠

(٥) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، المعجم العربي ١ : ٥٧ ، مقدمة النهاية (ح الطناحي) ١ : ٦ ، وانظر ترجمة أبي الفتح الرازي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٦٩

(٦) انباه الرواة ٢ : ١٨٣ (٧) انباه الرواة ٢ : ٢٨٥ ، معجم الأدباء ١٦ : ١٠

(٨) طبقات الأطباء ١ : ٢٠٤ ، ٢١١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net